وبخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وهم لايعلمون وقيل
يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون وهذا استفهام على سبيل
الانكار قوله فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضا
وقيل اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر
فاصبر لنصر ربك وقيل منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت
يعني يونس عليه الصلوة والسلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر
والعجلة وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم
ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه الصلوة والسلام وقد مضى
الفرق بين ذي وصاحب في سورة يونس قوله اذ نادى اذ منصوب
بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت
ندائه ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب
على احوالها وصفاتها وقوله وهو مكظوم جملة حالية من الضمير في
نادى والمكظوم الممتلئ حزنا وغيظا ومنه كظم السقا اذا ملاه قال
ذو الرمة وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفواد قريح القلب مكظوم
فصل اذ نادى اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال القرطبي ومعنى وهو مكظوم
اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول
عطا وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب
في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم
غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى
النفس قاله المبرد وقد مضى في سورة يوسف وفي سورة ال عمران والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه
قوله لولا ان تداركه قال ابن الخطيب لم لم يقل تداركته
نعمة واجاب بانه انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه
ولان التانيث غير حقيقي في النعمة وقرا ابي وعبد الله وابن عباس
تداركته بتا التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن هرمز والاعمش
تداركه بتشديد الدال وخرجت على الاصل تتداركه بتاين مضارعا
فادغم وهو شاذ لان الساكن الاول غير حرف لين وهي كقراءة البزي
اذ تلقونه ونارا تلظى وهذا على حكاية الحال لان القصد ماضيه فايقاع
المضارع هنا للحكاية كانه قال ان كان يقال فيه تتداركه نعمة
قوله نعمة من ربه قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال
ابن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه
من بطن الحوت وقيل رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه قوله
لنبذ بالعراء هذا جواب لولا اي لنبذ مذموما لكنه نبذ سقيما
غير مذموم قاله ابن عباس وقيل جواب لا مقدر اي لولا هذه النعمة
لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال بكر
ابن عبد الله مذنب وقيل مبعد من كل خير والعرا الارض الواسعة
الفضا التي ليس فيها جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه
لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعرا القيامة مذموما يدل
عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون فصل قال ابن الخطيب هل يدل قوله لنبذ وهو مذموم
على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه الاول انه
لولا

لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية
ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل
هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله فاجتباه ربه والفا للتعقيب
قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل فاراد ان
يدعو على ثقيف قوله فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره
فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه
في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله
الى مائة الف او يزيدون فصل قال ابن الخطيب قال قوم
لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه
الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد من قوله فاجتباه ربه والذين
انكروا الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا هذا القول لان الاحتباس
في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن هناك ارهاصا ولا كرامة
فلا بد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحال
فصل قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان فعل العبد
خلق الله تعالى بقوله فجعله من الصالحين هذا يدل على ان الصلاح
انما حصل بجعل الله وخلقه قال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله
انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل
في اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام
الحقيقة قوله وان يكاد الذين كفروا ان مخففة من الثقيلة
ليزلقونك بابصارهم قراها نافع بفتح اليا والباقون بضمها
فاما قراة الجماعة فمن ازلقه اي ازل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق
يزلق واما قراة نافع فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته
بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقد تقدم
لذلك اخوات وقيل زلقه وازلقه بمعنى واحد زلاقا اذا نحاه وابعده
وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه قاله القرطبي ولذلك ازلقه
وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق يسار هزيل وزمالق وزملق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره
والبا في بابصارهم اما للتعدية كالداخلة على الالة اي جعلوا ابصارهم
كالالة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم
وقرى ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها
انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضا
يكادون يزلقون قدمك من قولهم نظر الي نظرا يكاد ياكلني انشد
ابن عباس لما مر باقوام حددوا النظر اليه
نظروا الي باعين محمرة نظر التيوس الى شفار الجازر
فصل اخبر الله تعالى بشدة عداوة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم
وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا
ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان
البقرة السمينة او الناقة السمينة يمر باحدهم فيعاينها ثم يقول
يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى
تقع الناقة للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث
لا ياكل شيا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخبا فتمر به الابل او الغنم
فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب قليلا

King Saud University
Copyright © King Saud University